Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab/

The Role of Scholars in Iraqi Society During the Abbasid Era (492 AH – 574 AH / 1098 AD – 1178 AD

Hamid Husean Ahmad
General Directorate of Education in Nineveh/ Mosul-Iraq

Entisar Insaif Jasim
Department of History /College of Basic Education/ University of Tikrit/ Sallah Aldeen-Iraq

Article Information

Received: Feb18/2025
Revised :Mar19/2025
Accepted :Mar 23/2025
Available Online Sept1/ 2025

Keywords:
Jurist
Societ liveihood
Services
Caliphs

Correspondence:
Zahraa Kalaf Husean
zahraa.23arp20@student.uomosul.edu.iq

Abstract

The study examines the social status of scholars in Iraqi society during the Abbasid era (492 AH – 574 AH / 1098 AD – 1178 AD), considering them as people of sound judgment and opinion within the community. One of the fundamental principles of Islam is the veneration of knowledge and scholars. The scholars, including jurists and religious experts, were not a distinct class but were an integral part of Baghdad's society, belonging to both its general and elite social groups**.**

Many scholars emerged during this period, playing a significant role in social life by actively participating in important matters across political, social, and intellectual fields. Their influence extended among both the general public and the elite. As a result, Baghdad produced numerous jurists and scholars in religious, rational, and transmitted sciences**.**

Jurists and religious scholars held a distinguished position in society, receiving special attention from the caliphs and prominent state figures. They were entrusted with high-ranking political and administrative positions alongside their religious duties**.**

Most scholars, jurists, hadith narrators, and Quranic reciters were also engaged in various professions and were known by occupational titles such as Al-Bazzaz (cloth merchant), Al-Dahhan (oil merchant), Al-Attar (perfumer), Al-Jassas (plasterer), Al-Saqqā (water carrier), Al-Khabbāz (baker), Al-Bannā (builder), and many others**.**

During the Abbasid era, jurists and scholars benefited from remarkable social services that provided them with financial, social, and healthcare support. Students of knowledge and scholars were granted special provisions to ensure their well-being in all aspects of life.

DOI: 10.33899/radab.2025.157622.2320, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الوظائف الإدارية والمهنية للعلماء واعطياتهم في العصر العباسي

(492-574هـ/1098-1178م)

حامد حسين علي* **انتصار نصيف جاسم ****

المستخلص:

يتناول البحث طبقات العلماء في المجتمع العراقي في العصر العباسي من (**492هـ**/ 1098م) إلى 574ه/1178م) باعتبارهم أهل السداد والرأي في داخل المجتمع ؛ لأنه من مبادئ الدين الاسلامي تقديس العلم والعلماء ولم يكن اهل العلم، من العلماء طبقة خاصة إنما كانوا جزءِا من المجتمع البغدادي وينتمون الى طوائفه الاجتماعية العامة والخاصة فبرز العديد من العلماء الذين كان لهم الدور البارز في الحياة الاجتماعية من خلال المشاركة في الامور الهامة بكل جوانبها سياسياً واجتماعياً ، وعلمياً ، وامتد نفوذهم بين العامة والخاصة، لذلك انجبت بغداد الحبيبة الكثير من الفقهاء والعلماء في العلوم الشرعية، والعقلية، والنقلية ولهذا كان للفقهاء وعلماء الدين، مكانة متميزة في المجتمع ،وقد أولاهم الخلفاء وكبار رجالاتها، اهتماماً خاصاً ، وأسند لهم الوظائف السياسية والإدارية العليا في الدولة ،مع وظائفهم الدينية الاخرى.

كان أغلب العلماء ،والمحدثين وأهل القراءات من أصحاب المهن، ولهم ألقاب لهذه المهن، منها البزاز، والدهان ،والعطار ،والجصاص ،والسقاء ،والخباز، والبناء وغيرها من الالقاب الاخرى.

تمتع العلماء واهل العلم في العصر العباسي ،بخدمات اجتماعية جليلة وهي كالتأمين لهم، في كل نواحي الحياة الصحية ،والاجتماعية ،والمادية، فقد كان للفقهاء وطلاب العلم نصيب.

الكلمات المفتاحية :الفقهاء ، المجتمع ، المعاشية ، الخدمات ، الخلفاء

المقدمة :

تهدف الدراسة الى معرفة طبقة المجتمع العراقي في العصر العباسي من (**492هـ**/ 1098م) إلى 574-1178م) وتحاول التعرف على دورهم العلمي في المجتمع والخدمات او الامتيازات التي حصلوا عليها من الخلفاء العباسيين او كيف كانت مكانتهم في المجتمع اي عند عامة الناس, كذلك احوالهم الاقتصادية وطريقة كسبهم لأرزاقهم

يتضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور : المحور الاول: العلماء , والمحور الثاني: أحوال العلماء المعاشية:, والمحور الثالث: الخدمات المقدمة للعلماء:, وخاتمة بأهم النتائج , ثم ثبت المصادر والمراجع .

إن الدارس للتاريخ لا يمكن ان يحصره في اتجاه معين سواء كان الاتجاه سياسياً او اقتصادياً ولقد تناولت في هذا البحث طبقة العلماء في العصر العباسي ، وكان لهم دور أساسي في المجتمع وعلى الاصعدة كافة باعتبار ان العلماء هم صمام الامان للامة الاسلامية قديماً وحديثاً، وذلك لدورهم المهم في المجتمع بسبب احتكاكهم المباشر مع الناس، اذ اولى معظم الخلفاء العباسيين اهتماماً بالغاً بالعلماء فأسند لهم وظائف ادارية ودينية في الدولة العباسية وكان لهم الدور البارز في اطفاء الفتن التي كانت تنشب بين الحين والآخر فضلا عن توليهم منصب القضاء والتعليم ناهيك عن دورهم الديني في المساجد .

المحور الاول : الوظائف الادراية والمهنية للعلماء

* **المديرية العامة لتربية نينوى / الموصل-العراق**
** **قسم التاريخ /كلية التربية الأساسية / جامعة تكريت / صلاح الدين – العراق**

العلماء هم أهل السداد والرأي في داخل المجتمع ؛ لأنه من مبادى الدين الاسلامي تقديس العلم والعلماء انطلاقا من قوله تعالى: ﴿قل هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [1] ،وقوله تعالى((يرفع الله ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)) [2] وقد نصح احد علماء الدين الخليفة الرشيد برسالة جاء فيها (وأعلم ان مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج

المتألقة والمصابيح المتعلقة على قدر تعاهدك لها تبذل من الضياء ، وتجلوا بنورها صورة الاشياء)[3]وقال ابو الأسود الدؤولي [4] : (ليس شيئاً اعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك)[5] وقال الحيص بيص في فضل العلماء :

اذا مجد الاحبار باهر فضله ... اقرت به اسرارهم والدفاتر[6].

ولم يكن اهل العلم، من الفقهاء والعلماء طبقة خاصة أنما كانوا جزءا من المجتمع البغدادي وينتمون الى طوائفه الاجتماعية العامة والخاصة فبرز العديد من العلماء الذين كان لهم الدور البارز في الحياة الاجتماعية من خلال المشاركة في الامور الهامة بكل جوانبها سياسياً واجتماعياً ، وعلمياً ، وامتد نفوذهم بين العامة والخاصة، لذلك انجبت بغداد الحبيبة الكثير من الفقهاء والعلماء في العلوم الشرعية، والعقلية، وان الخلفاء هم من طلاب العلم لان من شروط الإمامة والخلافة المعرفة والإلمام بالعلوم الشرعية. وحرص الخلفاء وكبار رجال الدولة على تعليم ابنائهم واسندوا هذه المهمة الى كبار العلماء والفقهاء كي يتاهلوا لحمل اعباء الحكم والرعية، وقال الشاعر عن العلم والامامة :

فمنصوران حبرا امام ... ييأسك حين يحتدم الخصام[7].

وقد اشتغل العديد من الخلفاء في الرواية والتأليف، ولهذا ألف الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م) كتاباً اسماه روح العارفين واشتمل على الاحاديث النبوية[8] ،والقى دروساً في شرح مسند الأمام احمد بن حنبل(ت: 241هـ/855م) وأجازه عدد من العلماء وسمح لهم بالرواية عنهم[9] ، ودعم الخليفة الناصر لدين الله في كل المجالات ، وأخصهم بالأولوية واستشارهم بكل ما يخدم ابناء المجتمع وصلاحهم ، فكان يدعو الفقهاء والعلماء لعقد مجلس الوعظ في القصر مثل ابي رضي الدين ابي الخير ابن اسماعيل بن يوسف الفقيه الشافعي[10]، وقال الحيص بيص في هذه الرعاية من قبل الخليفة :

رعى الله نجدا زينبيا تالقت .... معاليه في خابط الليل موضح[11].

ودرس بالمدرسة النظامية[12] ووعظ معها ابن الجوزي ومن تصانيفه ، التبيان في مسائل القران في الرد على الحلولية والجهمية والقائلين بخلق القران وخصائص السؤال[13].

والعلامة والشيخ ابو الفرج ابن الجوزي[14] الواعظ وله عدة تصانيف في شتى انواع العلوم، من حديث، وتفسير، وموعظة ، وتاريخ ... ومؤثر في الناس ولاسيما العلماء منهم وانه سمع الحديث من خاله ، وقرأ القران على الجماعة من القراء بالروايات فقال في كتابه القصاص

---

(1) القران الكريم ، سورة الزمر ، الاية 9.
(2) القران الكريم ، سورة المجادلة، الاية 11.
(3) شلبي احمد ، التربية الاسلامية نظمها فلسفتها ، تاريخها ، ط6 ، مكتبة النهضة الاسلامية ، **(القاهرة،1978م)** ، 229/1 .
(4) هو ظالم بن عمر السفيان الدؤولي عالم نحوي وقاضي من مدينة البصرة تميز بمساهماته باللغة العربية حيث اسهم في وضع قواعد النحو ، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 16/4
(5) الحموي، بدر الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني ، (ت:733هـ/1332) ، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم ، مكتبة مشكاه الاسلامية (دار الكتب العلمية بيروت لبنان / سنة النشر 1935م) ،8/1 ؛شلبي ، التربية الاسلامية نظمها فلسفتها ، تاريخها ، 229/1
(6) شهاب الدين ابو الفوارس محمد ابن الصيفي الحيص بيص ،(ت: 574هـ/1178م)ديوانة ،تح: مكي السيد جاسم وشاكر معاوي منشورات وزارة الاعلام العراقية 277/3
(7) الحيص بيص ، ديوانه ، 375/3.
(8) أبن واصل، محمد بن سالم بن نصرالله الحموي،(ت: 697هـ/1297)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ،تح: جمال الدين الشيال ، (دار الكتب والوثائق المصرية القاهرة 1377هـ/1957م)،3/**228**
(9) ابن النجار الحافظ محب الدين ابي عبدالله محمد بن محمود البغدادي ، ذيل تاريخ بغداد، (بيروت لبنان ، سنة النشر 1417هـ/1997م) ، 159/18 .
(10) هو الشيخ الامام أبو الخير احمد بن إسماعيل الطالقاني عالم شافعي من مدينة قزوين ولد عام 505هـ ، وتعلم على يد علماء كبار وعرف بعلمه في المذهب والأصول والتفسير، الذهبي سير اعلام النبلاء 191/21
(11) الحيص بيص ، ديوانه ، 310/1.
(12) وهي من المدارس التي أسست في عهد الدولة السلجوقية واطلق عليه اسم الوزير نظام الملك الذي كان له الأثر العظيم فيه تاسيسها، الصلابي علي محمد، المدارس النظامية في العهد السلجوقي واثرها في العالم الإسلامي ،25/1
(13) الحيص بيص ، ديوانه ، 310/1.
(14) السلامي ، ذيل طبقات الحنابلة ، 442/3 .

والمذكرون: (وأني ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة ....الخ)[1] وكانت له مجالس وعظ واجوبة نادرة (2) ومنهم الشيخ شمس الدين ابو المظفر ابن الحسين ابن النيار(3)اذ فكان عالماً بعلم الحساب والجبر والمقابلة وتعلم الخط وحفظ القران في قصر الخلافة العباسية وكان من اهل الرئاسة والتصوف(4).

سمع الحديث على يد جماعة من العلماء أمثال الدينوري ،أبي يعلى الصغير[5] وقرأ الأدب على يد منصور[6] وكانت له مجلدات عديدة تزيد على 340 مجلداً فقال ابن كثير عنه: (وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر انواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والفقة000)[7] ومن هذه المجلدات المنتظم في تاريخ الملوك ،الأذكياء، تلبيس أبليس، والقصاص والمذكرين [8] وغيرها ويروى أن الواعظ ابن الجوزي كان يتكلم في مجلس موعظة في باب بدر الشريف[9]

عن القزويني وكان الخليفة المستضيء(566-577هـ/1170-1180م) حريصاً على حضور تلك المجالس من وراء الستار[10] وقال الشاعر الحيص بيص عن هذه الدروب :

وكم بدروبِ بغدادٍ حديث ... يَسُرُّكَ نَشْرُهُ في كلّ نادِ

بأنّي قد بلغتُ بك الثريّا ... وأنّي للترقّي في ازديادِ [11].

ولهذا أعطى الخلفاء ،وكبار رجال الدولة الفقهاء والعلماء ،مكانة متميزة في المجتمع، والاستعانة بهم، وأخذ المشورة منهم فيما يتعلق بأمور الدولة، فقال ابن الجوزي في هذا: (الرعايا ضربان خواص وعوام ،فأما الخواص فيكون تفقد احوالهم أكثر لأنهم كالأداة والآلة ،ويكون التفقد متواصلاً ،فإنه قد يخون الأمين ،ويغش الناصح ولا ينبغي أن يولى من غيره اصلح منه ويتخير للولاية أرباب العلم والدين [12]

وكان الخلفاء يختارون اهل الحكمة والسداد وقد صور شاعرنا ذلك فقال:

لا يُعْجِزَنْك المجدُ من بُعْدِه ... وإن نَضا عِيسَك إدلاجا

واسْلُكْ إلى إحراز غاياتِهِ ... وعراً من الرأي ومنهاجا

كم خاملٍ صار بتدبيره ... ما بين أبناء العلى تاجا

كوَرَقِ التُّوت على ضَعْفِهِ ... أصبح بالتدبير دِيباجا [13]

ولهذا كان للفقهاء وعلماء الدين ،مكانة متميزة في المجتمع ،وقد أولاهم الخلفاء وكبار رجالاتها، اهتماما خاصا ، وأسندوا إليهم الوظائف السياسية والإدارية العليا في الدولة ،مع وظائفهم الدينية الاخرى ،المناطة بهم كالخطابة في المساجد، والقضاء ، والحسبة إذ أحاط خلفاء بني العباس أنفسهم بالأدباء والعلماء، فشغلوا العديد من المناصب كالوزارة، والحجابة او أستاذ في الدار[14]، او عامل على الدواوين ،ونذكر منهم

(1) ابن الجوزي ، القصاص والمذكرين،تح: محمد لطفي (بيروت لبنان، سنة النشر 1988م)، 371/1.
(2) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، 141/3 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 110/18 .
(3) هو شمس الدين علي بن محمد النيار احد الائمة الشافعية كان كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت ويظهر عليه الخشوع ونظر في التفسير وحل المشاكل مقتدياً بوالديه الخليفة المستنصر واكرم في خلافة المستعصم، ابن كثير البداية والنهاية ، 161/13
(4) ابن الفوطي، مجمع الاداب في معجم الالقاب،500/4.
(5) هو محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفرار القاضي يلقب بعماد الدين القاضي ابي خازم، ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة،90/2
(6) ابن العماد الحنبلي ،شذرات من ذهب في اخبار من ذهب،289/6.
(7) ابن كثير ،البداية والنهاية ،28/13 .
(8) الصفدي ،الوافي بالوفيات ،111/1و 112؛ ابن رجب ،ذيل طبقات الحنابلة ،489/2.
(9) كان يسمى باب الخاصة اول مرة وذلك لدخول الخاصة من الناس منه الى دار الخلافة وجدد بناءه الخليفة القائم وانشأه الخليفة المستظهر وعمل فيه منظرة تشرف على ساحة قصور الخلفاء وعلى سوق الرياحين، مج المورد مج 8 العدد 4 ص51 (سنة 1979م)
(10) ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والامم، 241/10؛ الذهبي ،سير اعلام النبلاء،193/21؛ابن رجب ،ذيل طبقات الحنابلة،471/2.
(11) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر ،241/1 .
(12) ابن الجوزي ،المصباح المضيء في خلافة المستضيء،235/1.
(13) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر ،223/1.
(14) هو من المناصب الإدارية التي ظهرت في بغداد منذ القرن الرابع الهجري ويكون صاحبه مسؤولا عن رعاية دار الخلافة وصيانتها وتوفير كل ما يلزم لساكنيها، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 125/16

على سبيل المثال الوزير ابن الفقار مؤيد الدين ابا طالب [1]،الذي أشتهر بالعلوم لا سيما الحساب ،والمقاسات، واشتغاله بالأدب والبلاغة [2] إذ صور الشاعر الحيص بيص للذين تولى هذه المناصب واستاذية الدار فقال :

زعيمٍ بغُرمِ الفَوْت غير مُجَمْجِمٍ ... إذا لفظةٌ عن مسلك القول ضَلّتِ:

تحمَّلْ، رعاك اللهُ، شكري إلى الذّي ... به عظُمت حالُ المعالي وجَلَّتِ [3].

والذين استلموا الوزارة فقال فيهم :

إنّ الوزارة وهي مُعتَلَجُ العلى ... ومَقامُ كلِّ مُسَوَّدٍ جَحْجاحِ

نِيطتْ بأبلجَ من ذُؤابة هاشمٍ ... جمِّ المآثِرِ ذي سُطاً وسَماحِ [4].

وقرب الوزير معز الدين بن علي[5] العلماء إذ كان رجلاً فاضلاً متصوفاً ،وكثير الأموال ،وأنفق على العلماء[6] وان قسماً من العلماء غلبت عليهم أمور السياسة والإدارة، الا انهم تولوا المناصب فيها، لانهم اهل علم وثقافة ومعرفة وتأثير في العامة لفضلهم في دور العلم . بينما القسم الآخر منهم رفض المنصب ففي خلافة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م) بعث الى فخر الدولة المظفر ابن هبة الله[7] ان يكون مستشاراً ووزيراً له وذلك لفضله ومكانته العلمية الا انه زهد في الدنيا واحب طريق التصوف[8] فقال: (يا أمير المؤمنين المملوك رجل شيخ وما يجوز ان يفتح له كتاباً بعد العصر)[9] فقال الشاعر الحيص بيص :

ويرهب احبار الدواوين لمحة... اذا نوزع الحكم القول الماصع[10]

والعالم الشيخ شمس الدين ابو المظفر ، كان رجلاً عالماً بعلوم الدين والعلوم العقلية الاخرى كالحساب ، الجبر وكان في خدمة الخليفة المستضيء بالله منذ الصغر، وعلمه حفظ القران والخط، ولمّا تولى الخلافة رعى له حق القرابة والخدمة ،ولمّا توفي وزيره فاتحه في تقليد الوزارة الا انه رفض تقلُّد الوزارة وقال: (اني عاهدت الله ان لا أغير لبس المتصوفين ولا انزع عني ماتعودته فقيل له نحن نوافقك على ذلك، بحيث تؤرخ الناس ان شخصاً يختص بنا ندبناه الى الوزارة فأبى أن يغير زيهه فأجبناه الى ذلك ،فقال لأن تؤرخ الناس أن شخصاً متصوفاً حسن الظن وندبِ الى الوزارة فأمتنع أحسن من ذلك)[11] وفوضت إليه مشيخة الشيوخ في بغداد وسلم إليه رباط والده الخليفة الناصر لدين الله [12] واكرمه الخليفة وسلم إليه خزانة الكتب الخاصة به ،وأمره أن يتردد إليه دائماً ففوضه امور الحج[13] وأسند الوظائف الادارية الى العلماء والفقهاء الاكفاء، فقد أوكل الخليفة الناصر ديوان المظالم لبعض العلماء[14] وكانت له مكانة اجتماعية وقبول بين عامة الناس وكان يوصل حوائج الناس الى الخليفة وارسله الخليفة سفيراً الى بلاد الشام إذ عد مثالاً إلى ما وصل اليه العلماء من المكانة الاجتماعية عند الخلفاء، وقسم من العلماء جعله الخلفاء كاتباً في الديوان كما فعل الخليفة المستنصر بكتابة مرسوم بالمستنصريات[15] وقال الشاعر الحيص بيص في فضل العلماء والفقهاء فقال :

تقرُ بفضلِه الأحبار طرا ... وتَحسدَ فضلَ نائلِه البحِار[16].

---

(1) هو محمد بن محمد بن علي أبو طالب وزير الدين البغدادي استوزره الخليفة المستعصم بالله وولي فيها مدة أربعة عشر عاماً، ابن الكتبي، فوات الوفيات، دار صادر بيروت، تح: احسان عباس ، 75/1

(2) ابن الطقطقي ،الفخري في الاداب السلطانية والدور الاسلامية،322/1 .

(3) الاصبهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر،220/1.

(4) الاصبهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر،223/1.

(5) هو أبو المعالي معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الانصاري وزير الخليفة الناصر لدين الله استزوره في سنة 584هـ، ابن كثير، البداية والنهاية ،65/13

(6) ابن الطقطقي ،الفخري في الاداب السلطانية ،309/1 .

(7) هو عالم دين سمع العديد من العلماء أمثال جعفر السراج وروى عنه موفق الدين المقدسي،(ت: 653ه)، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 420/20

(8) الصفدي، الوافي بالوفيات ،181/12 .

(9) الأيوبي ،مضمار الحقائق وسر الخلائق ،13/1 .

(10) الحيص بيص ،ديوانه،70/2.

(11) ابن الفوطي ،الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،154/1.

(12) ابن الفوطي ،الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، 154/1.

(13) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، 132/1 و 133 .

(14) ابن رجب ،ذيل طبقات الحنابلة ،428/2 .

(15) ابن رجب ،ذيل طبقات الحنابلة ،428/2؛ السوداني عبدالله عبدالرحيم، اسوار بغداد، مجلة المورد، مج8، العدد4 بغداد 1989/10/1م، ص52.

(16) الحيص بيص ،ديوانه ،300/3 .

وقال ايضاً : اذا كفاه المدُن والأمصار... أسْدُ الدواوين ألو الأخطار[1].

ولم يكن الاهتمام بالعلماء من قبل الخلفاء فحسب بل الوزراء ايضا فقد قرب الوزير سعيد ابن حديدة الفقهاء والعلماء وكان يكثر من الانفاق على العلماء ويدعوهم لعقد مجالس الوعظ في بيته وعرضت عليه الولاية فرفضها؛ لأنه كان محدثا وفقيها وله عدة اجازات[2]

واستلم رضي الدين عمر، وكان رجلاً عالماً وفقيها في المدرسة النظامية منصب حاجب الحجاب بدار الخلافة[3] ومن الأدباء الذين تقلدوا المناصب في الدولة عبد الحميد هبة الله الكاتب[4] ، فقد تقلد الكتابة بدار التشريفات، ثم كاتباً في المخزن ، وبعد ذلك في الديوان وناظراً في البيمارستان العضدي[5] وقال الشاعر الحيص بيص عن وظيفة الكتاب في الدواوين :

كتائبه والكتب أنصار مجدهِ... تسرُ دواوين به ملاحِمُ [6].

الشيخ ابو جعفر عمر بن ابراهيم الفقيه الواعظ وروى الحديث تولى مشيخة ورباط الزوزني وناظراً به وارسله الناصر للدين رسولاً الى الحجاز والجزيرة العربية وديار بكر[7] ويعدُّ الشيخ شهاب الدين عمر الفقيه الشافعي موفوداً خاصاً للخلفاء فقد ارسله الخلفاء في مهمات نيابة عن الخليفة وكان الشيخ واعظاً ومن كبار علماء الصوفية وابو الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص كان فقيهاً شافعياً المذهب ومنظم للشعر[8] فقال معاتباً والي الحلة :

ان الأسود أسود الغاب همتها... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[9].

وهذا يبين لنا ان كل الخلفاء كانوا مسندين امور الدولة الى العلماء والأدباء والمفكرين ؛لان العالم له مقدرة بعلمه ومعرفة احوال عامة الناس ومن العلماء الذين أوكلت لهم مهام السفارة محيي الدين ابن الجوزي اشتغل بالفقه ، شافعي المذهب وعين أستاذاً في دار المعتصم[10].

وقال الحيص بيص :

وقد كان عز الدين لي خير موئلِ... أنازل أيامي به والأعاديا[11].

إن المهام الإدارية والسياسية التي أسندت الى العلماء توضح لنا المكانة التي كان يتمتع بها العلماء ، لان مهام الدولة لا تسند الإ الى أهل الدراية والمعرفة، والعلم والأخلاق الحسنة، وأن التكريم الاجتماعي من قبل الخلفاء لم يكن لعلماء بغداد فقط، بل شمل العلماء الوافدين إلى مدينة بغداد ؛ لأن مدينة بغداد امتازت بالنشاط العلمي وأصبحت من أهم المراكز الفكرية والعلمية في العالم كله .مما دفع بالعلماء بالسفر وشد الرحال إلى بغداد، والإقامة بها . فعندما وفد الى بغداد العلامة محمد بن عبد اللطيف الخجدي[12]، وعندما وصل اطراف بغداد، استقبله الخليفة بموكب رسمي حضره العلماء وكبار رجال الدولة ،وكان محمد بن عبد اللطيف أماماً فاضلاً وأكرمه الخليفة وقربه وولاه النظر والتدريس في أوقاف المدرسة النظامية[13].

(1) الحيص بيص ،ديوانه ،116/3

(2) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد ابي الحديد عز الدين المداني الشاعر والكاتب، ابن كثير، البداية والنهاية، 233/13

(3) ابن الساعي ،الجامع المختصر،145/9 .

(4) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد احد ابرز علماء وكتاب المعتزلة في عصره ومن مؤلفاته كتاب شرح البلاغة (ت: 656ه – 1258م)، ابن كثير، البداية والنهاية، 233/13

(5) هو البمارستان الذي انشاه عضد الدولة البويهي في بغداد في الجانب الغربي وتم افتتاحه سنة 372ه – 982م والحق بيه مكتبة كبيرة ذكرها الرحالة ابن جبير عند زيارته لبغداد، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 289/14

(6) الحيص بيص ،ديوانه ،209/3 .

(7) ابن الساعي ،الجامع المختصر،184/1.

(8) ابن خلكان ،وفيات الاعيان،362/2 .

(9) ابن خلكان ، وفيا الاعيان ،362/2 .

(10) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،153/1 ؛ ابن رجب ،ذيل طبقات الحنابلة،183/2 .

(11) الحيص بيص ،ديوانه ،376/2

(12) هو صدر الدين العلامة أبو بكر محمد بن عبدالله اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي الاصبهاني الشافعي، سمع من العديد من العلماء ثم قدم المدرسة النظامية ودرس فيها وحضر ابن الجوزي العديد من مناظرنه، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 387/20

(13) السبكي ،طبقات الشافعية الكبرى،134/6

وقال الشاعر الحيص بيص عن أسناد هذه الوظيفة للفقيه وصورها بشكل رائع :

لمن الخيلُ كأمثالِ السَّعالِي ... عادياتٍ تتمطّى بالرّجالِ

ما عجاتٍ بَغطاريفِ وَغىً ... جَلَبُوا الموتَ بأطرافِ العوالي[1].

وقال عنه ابن الجوزي: (حضرت مناظرته وهو يتكلم كلمات معدودة مثل الدرر بجامع القصر وبالنظامية، وماكان يندار في الوعظ وكان مهيباً وحوله السيوف وهو بالوزراء اشبه منه بالعلماء)[2]. ومن العلماء الذين اسندت اليهم الوظائف الادارية والسياسية ابو الفضل رضي الدين الحسن بن محمد الذي عمل سفيراً للدولة العباسية وهو من العلماء الذين رحلوا الى بغداد، فقد ولد في مدينة لاهور الهندية ونشا بمدينة غزنه، من بلاد السند، ثم ارتحل الى الهند واستقر في بداية رحيله بمكة المكرمة ،ثم دخل مدينة بغداد وكان عالماً وفقيهاً وعُدَّ من اعلم اهل عصره في اللغة وألف عدة كتب منها مجمع البحرين ،العباب الزاخر واللباب الفاخر في اللغة ثم شرح كتاب صحيح البخاري ثم ارسله الخلفاء العباسيون عدة مرات الى ملك الهند يدعوهم فيها الى الاسلام ومن شروط السفير ان يكون عالماً بالأمور الدينية مثل الفرائض والسنن واحكام القران والادب وكان السفير يمثل الخلافة العباسية[3].

اما الأطباء فقد حضوا برعاية خاصة واهتماماً من قبل الخلفاء وعدوا من خاصة العلماء، فكان لهم كرامة ومنزلة بكل العصور الإسلامية ،و أن اغلب الأطباء كانوا من أهل الذمة وبالأخص النصارى وهذا دل على أن علماء الشريعة وعلوم الفقه والدين لم يكونوا وحدهم من تمتع بالمكانة الرفيعة عند الخلفاء ،بل وشمل التكريم والمكانة الأطباء ،وأهل العلوم العقلية وسعى الخلفاء وكبار رجال الدولة لتقريب الأطباء لخدمة الناس وعُدَّ ابن التلميذ النصراني الطبيب هبة الله بن صاعد من أشهر الأطباء في عصره إذ قدم خدمات جليلة لخلفاء الدولة العباسية. وأصبح الطبيب الخاص للقصر، وعُدَّ بمنزلة الوزير وكان يحفظ أموال الخليفة الخاصة، ويدخل القصر في أي وقت ولقب أمين الدولة البغدادي[4].

وقال الشاعر الحيص بيص عن الطبيب ابن التلميذ ومهارته في الطب :

أظلماً ورمحي ناصري وحسامي ... أذلاً وعزمي قائدي وزمامي

ولي بأس مشبوح الذراعين مفطب...يصاول عن أشباله ويحامي

كذبت لقد استهل الوعرُ في العلى...وأكرم نفسي أن يهون مقامي[5].

ووصفه شاعرنا بالطبيب الماهر الحاذق :

وصارماً اذا شطبُ اذا عزم... طب بضربِ الدراعين في القمم[6].

وقال ايضاً :

طباً بقتلِ المحلِ والجبار ... قد بليا من فضلهِ المشار[7].

وقال ابن ابي اصيبعة عنه: (جميل المحضر قضيت على يديه حاجات واستكفيت بواسطته شرور)[8].

المحور الثاني : أحوال العلماء المعاشية:

كان أغلب العلماء والفقهاء ،والمحدثين وأهل القراءة من أصحاب المهن، ولهم ألقاب لهذه المهن، منها البزاز، والدهان ،والعطار، والجصاص، والسقاء ،والخباز، والبناء، والقصاب ؛ لأن هذه الاعمال هي التي ساعدتهم على الاتصال بالناس من خلال وجودهم في السوق،

(1) الحيص بيص،ديوانه،147/1؛الاصفهاني،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،293/1.
(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم،122/18
(3) (مرتب حسب الوفيات)ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،203/1؛ابن السبكي ،طبقات الشافعية،59/5؛ابن العماد الحنبلي ،شذرات من ذهب،269/5
(4) ابن خلكان ،وفيات الاعيان،69/1؛ابن القفطي، اخبار العلماء بأخبار الحكماء،254/1؛ابن ابي اصيبعة ،عيون الابناء في طبقات الأطباء،405/1.
(5) ديوانه،142/1 .
(6) الحيص بيص،ديوانه،106/3 .
(7) الحيص بيص ،ديوانه ،114/3 .
(8) ابن ابي اصيبعة، عيون الابناء في طبقات الأطباء،405/1

وان الغالب منهم ، فضل العمل بالتجارة ،ليوفر لنفسه وعائلته الاكتفاء مادياً، وكان عدد منهم فقراء يأخذون المساعدات من كبار رجال الدولة، والأثرياء ،ومن لا يجد له مهنة او منصب في الدولة يشتغل ناسخاً للكتب(كاتب) لقاء أجر معين ،ليدبر بها أحواله المعاشية. ومن أمثال هؤلاء العلماء أبو الغنم ابن النرسي ،الملقب أبا الكوفي . قراءته حسنة فكان يأتي من الكوفة منذ سنة(498هـ/ 1104م) في شهر رجب فيبقى في بغداد الى بعد عيد الفطر ثم يعود، واشتغل بنسخ الكتب لقاء أجر لتعينه وعياله على المعيشة[1]

وقال الشاعر الحيص بيص عن مهنة العطار ثم بعد ذلك تولي منصب في الدولة :

اضطرارُ الحرّ الكريمِ إلى الدُّو ... نِ، وإنْ حازَ غايةَ الإسرافِ،

لا يَشِينُ المجدَ المُنِيفَ، ولا ين ... قُصُ قدرَ الشريفِ في الأشرافِ

هل يُعابُ العطّارُ يوماً إذا أص ... بحَ ذا حاجةٍ إلى الكَنافِ[2].

وقال ايضاً عن الكتاب والنسخ :

ومضطمر الجنبين يَخْطِر مائساً ... على لاحبٍ من طِرْسه وقِواء

يذيب على الأطراس كلّ بليغة ... تذوب عليها أنفس العلماء[3].

وكذلك العلامة والفقيه الحنبلي ابو الوفاء علي بن عقيل، برز في الكثير من العلوم واشتغل بالتصنيف وحفظ القران وقرأ القراءات[4] درس النحو والأدب والفقه وعلم الأصول على العديد من مشايخ عصره ،وشيخه في القراءة ابن شيطا، وفي الزهد ابن الشيرازي وشيخه في المناظر ايضاً[5]لقد عانى من العوز والفقر واشتغل بنسخ الكتب مقابل الأجرة فقال ابن عقيل : (وعانيتُ من الفقر والنسخ بالأجرة ما عفةً وتقى ولا أزحم فقيهاً في حلقة ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة)[6] ومن العلماء الذين اعتمدوا على مهنة البيع والتجارة ،عبد الرحمن بن محمد الحلواني، كان فقيها وناظراً، فكان يتاجر في الخل وقانعاً برزقه ومهنته ،ولايقبل من أحد شيئاً [7] فقال الشاعر الحيص بيص عن القناعة والشكر، ودوامة فقال:

أبى اللهُ إلا ما تُرِيدُ، فكُنْ له ... شكوراً، فنُعْمَى اللهِ تبقى على الشكرِ

ودُمْ سالماً، إنّ المعالي بهيجةٌ ... بتصريفها ما بين نَهْيِكَ والأمرِ

فإنَّ على الأيّام نَضْرةَ زهرةٍ ... بوجهك يا ابْنَ الماجدِينَ بني النَّضْرِ[8].

وقال ايضاً :

ناطُ أيادي الله منه وعنده ... إلى وَرِعٍ جَمِّ المحامدِ شاكرِ

يُعيدُ النَّوارَ النافراتِ أنسيةً ... وَيُحبسُ منها شكرَهُ كلُّ طائرِ[9].

وكان الشيخ أبو النجيب السهرودي، الصوفي الزاهد، الفقيه الشافعي، تفقه في المدرسة النظامية في بغداد، ودرس فيها وترك التدريس ،وانقطع عن الناس واعتزل وعمل سنين عدة يسقي بالقربة على ظهره لقاء الأجر وكانت له خربة على دجلة يأوي اليها [10] وقال الحيص بيص في سقي الماء بالقرب فقال:

(1)ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والامم،189/9؛الذهبي،سيراعلام النبلاء،316/16 .
(2) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،279/1.
(3) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،207/1
(4) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم،250/16؛ابن العماد ،شذرات من ذهب في اخبار من ذهب ،58/6 .
(5) ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والامم،212/9و213.
(6) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة،321/1 .
(7) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم،146/10؛ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة،40/2.
(8) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،255/1.
(9) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي ،255/1 .
(10) ابن السبكي ،طبقات الشافعية الكبرى،174/7و 175 .

وكيف يحوي سقاء راحلة يما له زخرة واجمامُ [1].

(وَكنت أبقى الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَة لَا أستطعم بزاد وَكنت أنزل إِلَى دجلة وأتقلب فِي المَاء ليسكن جوعى حَتَّى دعتني الْحَاجة إِلَى أَن اتَّخذت قربَة استقي بهَا المَاء للقوت فَمن أَعْطَانِي شَيْئا أَخَذته وَمن لم يُعْطِنِي تركته وَلما تعذر عَليّ ذَلِك فِي الشتَاء خرجت يَوْمًا إِلَى بعض الْأَسْوَاق فَوجدت رجلا وَبَين يَدَيْهِ طبرزد[2] وَعِنْده جمَاعَة يدقون الْأرز فَقلت هَل لَك أَن تستأجرني فَقَالَ أَرِنِي يَديك فأريته فَقَالَ هَذِه يَد لَا تصلح إِلَّا للقلم ثمَّ ناولني قرطاسا فِيهِ ذهب فَقلت مَا آخذ إِلَّا أُجْرَة عَمَلي فاستأجرني على النّسخ إِن كَانَ لَك نسخ وَإِلَّا انصرفت وَكَانَ رجلا يقظا فَقَالَ اصْعَدْ وَقَالَ لغلامه نَاوِلَهُ المدقة فناولني فدققت مَعَهم وَلَيْسَ لي عَادَة وَصَاحب الدّكان يلاحظني فَلَمَّا عملت سَاعَة قَالَ تعال فَجئْت إِلَيْهِ فناولني الذَّهَب وَقَالَ هَذِه أجرتك فَأَخَذته وانصرفت ثمَّ أوقع الله فِي قلبِي الِاشْتِغَال بِالْعلمِ فاشتغلت حَتَّى أتقنت الْمَذْهَب)[3] ثم حول خربته رباطاً وبنى إلى جانبها مدرسة فصار حمى لمن ألتجأ أليه من الخائفين [4]وعاش قسم من العلماء حياة الترف والرخاء، ووصل بعضهم الى درجة الأثرياء إما بسبب، حصولهم على منصب في الدولة، او كان هذا الثراء نتيجة انعام الخلفاء وتقريبهم منهم، إما ان يكون من التجار، اومن أصحاب الأموال الموروثة. وقال الحيص بيص عن الثراء :

قعدتم وثراء المال ينهضكم... وسرتُ شداً وقد أوثقت بالعدم[5].

فقد كان ابو الفرج عبد المنعم بن كليب الملقب شمس الدين الحراني الحنبلي المذهب. كان تاجراً في بغداد ومن أصحاب الثراء[6] وصل الى خراسان[7] وقال الحيص بيص عن شمس الدين :

شموسُ المواضي إن بَغْيتَ الأمانيا ... وظلُّ العوالي إن أردتَ المعاليا

وَعدِّ عن الأرضِ التّي لنعيمها ... سواك، ولو أدركته كنت عانيا

لحى اللهُ مجهودَ الفؤادِ من الأذى ... إذا هو لم يستخلص العَزْمَ شافيا

فما أحرز الآمالَ مثلُ مهاجِرٍ ... إليها، وفات النُّجحُ من بات ثاويا[8].

وكان الخلفاء يعقدون مجالس للختمات في شهر رمضان المبارك وأمر الخليفة المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م) بحضور العلماء والفقهاء ،والمشايخ الى دار التشريفات في الرصافة، للاشتراك في ختمة القران، وبعد انتهاء الاحتفال بالختمة ،أمر الخليفة بمكافأة العلماء والفقهاء وأهل الموعظة، والقراء من نفقته الخاصة[9] وفعل الشيء نفسه الخليفة المستضيء بالله في عيد الفطر ووزع الأموال والهدايا على أهل العلم والتقوى فأعطى لكل الحاضرين خمسة وعشرين الف دينار[10] وكان الخلفاء يعطون اهتماماً واحتراماً للعلماء.إذ تبين ذلك من خلال الأعطيات والهدايا والهبات التي تعطى لهم في الأعياد والمناسبات الدينية، وقال الشاعر الحيص بيص في فضل الخلفاء وكبار رجالاتها بالهدايا والعطاية الجزيلة للعلماء :

أبعدت بالفضل عمّن قبله سَفَهاً ... وبِتُّ للفضل منه أيَّ مقتربِ

والفضْل كالصبح يَهْدِيَ مَنْ له نظرٌ ... ولا يَصيرُ به الأعمى إلى أرَب[11].

وقد كان اهل بغداد يتحدثون بحديث الشيخ تاج الدين محمد بن حسن وهو فقيه واصولي ،كان متواضعاً وكان يمدح السلاطين وكبار رجال الدولة وحبب العيش لهم في كنبهم فقال: (ألست تعلم أن الأنسان يحب أن يسكن احسن الدور ،ويلبس أفخر الثياب، ويأكل أطيب المأكل

(1) الحيص بيص ،ديوانه ،297/3.
(2) هو السكر الأبيض مكون من مقطعين طبر وزد أي ضرب لانه كان يدق بالفاس ، ادي شير الالفاظ الفارسية المعربة، (دار العرب البستاني، ط2، 1987م/1988م)
(3) ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،175/7 .
(4) ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،175/7؛احمد بن علي بن عبد الله شهاب الدين الدجلي،(ت: 833هـ/1429م)،الفلاكة والمفلكون، الناشر مطبعة الشعب ـ مصر ،سنة النشر 1322هـ ـ 1905م،98/1 .
(5) الحيص بيص،ديوانه،80/3 .
(6) ابن خلكان ،وفيات الاعيان،227/3 .
(7) وهي كلمة فارسية معناها بلاد الشمس المشرقة(الشرق) وهي بلاد واسعة تشكل الشمال الشرقي في ايران وتمتد بين جرجان وطبرستان من جهة وبين وراء النهر من جهة أخرى، ابن كثير، البداية والنهاية، 56/8
(8) الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،334/1.
(9) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،92/1 .
(10) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،76/1 .
(11) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،216/1 .

ويركب أجمل المراكب ،فقلت بلى .قال فَلِم لا يكون من يلي خدمتي به ويقرب منه على أحسن صورة وأن شئت أريتك ما بداري من الجواري الحسانِ...)[1] ولكثرة المكافأة والهدايا التي يعطيها الخلفاء للفقهاء وأهل العلم والأطباء فأصبحوا من أهل الثروات وكان الطبيب ابن التلميذ الملقب امين الدولة لا يقبل عطية الامن الخليفة او السلطان[2] وقال الشاعر الحيص بيص عن عطاية الخلفاء:

نشوانُ من ذكر العلاء، كأنّما ... في كل مَنْقَبَةٍ مُدامة شارِبِ

ويبيتُ منه جارُهُ وضيوفه ... رَغَداً وأمناً في حِمىً ومَلاعِبِ[3].

وكان لابن التلميذ[4] أملاك وأقطاعات ،وكان يحضر كل اسبوع الى دار الخلافة ويجلس لكبر سنه فكانت له دار القوارير في بغداد إلا ان الوزير ابن هبيرة اقتطعها منه. ولما اراد الخروج عجز عن القيام فقال الخليفة المقتفي لأمر الله(530-555هـ/1135-1160م): (كبرت يا حكم وتكسرت قواريري وهذا مثل ما يتماجن به أهل بغداد لمن عجز وبطل ففطن الخليفة وقال رجلاً عمرً في خدمتنا ما تماجن قط بحضرتنا ،ولهذا يتماجن سر ثم فكر وسأله عن دار القوارير فقال له قد حلها الوزير ابن هوبيرة عنه واخذها منه فانكر المقتفي على ذلك انكاراً شديداً وردها إليه وزادها أقطاعاً اخر)[5] وقال الشاعر الحيص بيص عن عطايا الخلافة:

كفّوا عن الأورق العاديّ، إنّكم ... لا تستطيعون نقلَ الأورق العادي

ولا تسنّوا لأقوالي سِبابَكُمُ ... فما العَضِيهَةُ من شأني ولا عادي[6].

ووصف الشاعر الحيص بيص عطايا الخليفة المقتفي وفهمه لطلب ابن التلميذ وزاده عطاء فقال:

إذا قيلَ: الكريمُ أخو العطايا ... وبذّالُ الرَّغائب والنّوالِ،

فأكرمُ منه ذو خُلُقٍ أبيٍّ ... يصونُ الوجهَ عن ذُلّ السُّؤالِ

وهل يُلْفَى جوادٌ مثلَ حُرٍّ ... أجلَّ النّفسَ عن مِنَنِ الرّجالِ[7].

نستنتج مما تقدم ان الخلفاء العباسيين قد كرموا وقربوا الفقهاء والعلماء والاطباء المسلمين، وغيرهم من الطوائف الاخرى وأجزلوا عليهم الهبات ،والاقطاعات، وخصصوا لهم راتباً سنوياً ،ويكون مفضلاً عندهم في الدخول الى دار الخلافة في اي وقت ، وعدت فئة الاطباء فئة خاصة من العلماء فقد حظيت باهتمام ورعاية الخلفاء إذ كان للأطباء في كل العصور الاسلامية كرامة لا تمس وان اغلب الاطباء في العصر العباسي كانوا من اهل الذمة خاصة النصارى ،ولهذا لم يكن لحملة العلوم الشرعية وحدهم من يتمتع بمكانة اجتماعية عالية ومرموقة لدى الخلفاء وانما حظي الاطباء واهل العلوم العقلية بهذه المكانة ايضا فسعى معظم الخلفاء الى تقريب العلماء لخدمة الدين واهله وليكونوا واسطة يعبرون من خلاله الى قلوب عامة الناس مثل ابن البركات[8].

المحور الثالث :الخدمات المقدمة للعلماء:

تمتع الفقهاء وأهل العلم في العصر العباسي ،بخدمات اجتماعية جليلة وهي بمثابة تأمين لهم، في كل نواحي الحياة الصحية ،والاجتماعية ،والمادية ،فقد كان للفقهاء وطلاب العلم نصيب ويكونون بالمرتبة الاولى، لتلقي العلاج والخدمات الاخرى فالعلماء وطلبة المدارس، كالمستنصرية، والنظامية يكون علاجهم على يد كبار الأطباء ،وكان ابن التلميذ الملقب امين الدولة اذا أصاب الفقيه المرض نقلوه إليه ،فيقوم بعلاجه واذا تشافى من مرضه أعطاه دينارين وصرفه، وان من شروط المدرسة المستنصرية ان يكون بها طبيب ماهر، مسلم ومعه عشرة

(1) ابن الفوطي ،الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،223/1 .
(2) ابن اصيبعة ،عيون الابناء في طبقات الاطباء،350/1 .
(3) الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر،218/1.
(4) هو أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله ابن إبراهيم البغدادي النصراني المعروف بابن التلميذ اديب وشاعر وطبيب مسيحي وصاحب تصانيف، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 354/20
(5) ابن القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء،255/1؛ابن أبي اصيبعة ،عيون الابناء في طبقات الاطباء،350/1 .
(6) الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،236/1.
(7) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر،304/1 .
(8) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء،349/1 .

أنفس من المسلمين يعملون بالطب، ويوصل لهم الطعام والشراب وكل ما يحتاجون إليه ،وان يكون الطبيب يطبب من يعرض عليه من أرباب هذا الوقف ،وتصرف للمريض أدوية واشربة ولهم رواتب[1] وقال الشاعر الحيص بيص عن هذا العطاء والالتفاتة من قبل كبار رجال الدولة:

من البيضِ أمّا وُدُّهُ فهو صارمٌ ... قَطُوعٌ، وأمّا وعدُهُ فهو ماطلُ

تعلّقتُهُ والحِلْمُ من مَرَح الصِّبا ... سِفاهٌ، وحقّي في البطالة باطلُ[2].

وان تأمين مكان وسكن العلماء كان من الشروط في المدارس والرُبط ؛ لان المدارس صممت لتكون مكاناً للدراسة ولسكن أهل العلم والطلاب وتوفر لهم الدولة كل ما يحتاجون من مستلزمات الحياة ورتبت لهم من يقوم بهذه الخدمة (وهذه الاماكن تسمى الاقسام الداخلية حالياً) لطلاب المدارس والجامعات ولما جاء ابراهيم بن يحيى[3] الى مدينة بغداد سكن بالمدرسة النظامية سنين عديدة[4] ولما بنى الخلفاء المدارس والرُبط للصوفية فأعطى للفقهاء والعلماء الهدايا ومدحه الحيص بيص وأعطاه الف دينار فقال :

إذَا وَجَدَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ ... نَشَاطًا فَذَلِكَ مَوْتٌ خَفِي أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ ضَوْءَ السِّرَاجِ ... لَهُ لَهَبٌ قَبْلَ أَنْ يَنْطَفِي[5].

وان العلماء والفقهاء وكبار رجال الدولة ولاسيما أهل الثراء كانت مساكنهم خارج المدارس بينما سكن قسم من العلماء، البيوت المتواضعة ،والترب، والخربة، بسبب فقرهم فكان ابن الفوطي نشأ تنشئة الاعيان في زمانه وكان يحضر مجالس الوعظ والصوفية مع والده وحضر مجلس المذهب الحنبلي واتصل بابناء الأمراء والادباء[6].

وكل ما يعطى للعلماء من الهدايا والرواتب تستمر بعد وفاتهم لأولادهم، وهي بمنزلة الراتب التقاعدي الحالي، ومثال على ذلك الشاعر ابن التعاويذي محمد بن عبيد الله كان اديباً وشاعراً وزاهداً، فقد بصره في آخر عمره وخصص له الخليفة الناصر لدين الله راتباً من ديوان الدولة، ثم كتب الى الخليفة ان يسجل الراتب باسم ابنائه ،ولمّا انتقل هذا الراتب الى ابنائه كتب برسالة ثانية الى الخليفة ان يكون هذا الراتب مدى الحياة[7] واعطى الخليفة المستضيء ثلاثمائة دينار وخلعة ودوراً وضيعة للعلماء والأدباء ومنهم الأديب والشاعر الحيص بيص وقال في ذلك :

سألنا اللهَ أنْ نُعْطي إماماً ... نعيشُ به، فأعطانا نبيّا

بلغنا فوقَ ما كنّا نُرَجّي ... هنيّاً، يا بني الدّنيا، هنيّا

وقد كشف الظَّلامُ بمستضيء ... غدا بالنّاس كلِّهمُ حَفيّا[8].

وقال ايضاً عن عطايا وجود وكرم الخلفاء

فَهَبْهُ لي كعطاياك التّي كَثُرَتْ ... فالجود بالعزّ فوق الجودِ بالورقِ

إنّ اصفرارَ مِجَنِّ الشّمسِ عن حَزَنٍ ... على علاها لمرماها إلى الأُفُقِ

وإنْ توهّم قومٌ أنّه حُمُقٌ ... فطالما اشتبهَ التّوقيرُ بالْحُمقِ[9].

(1) ابن الفوطي ،الحوادث الجامعة والتجارب النافعة،61/1 .
(2) الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،298/1 .
(3) هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي أبو إسحاق الدمشقي المعرف ابن الدرجي امام المدرسة الغزية وهو ثقة مقرئ (ت: 681ه)، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 175/13
(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان،57/1 ؛ 58 .
(5) ابن كثير، البداية والنهاية،227/12 .
(6) ابن الفوطي ،مجمع الاداب في معجم الألقاب،14/1.
(7) الحموي ياقوت ،معجم الأدباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب،365/1 و 374 .
(8) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،330/1 .
(9) الاصفهاني ،خريدة القصر وجريدة العصر القسم العراقي،285/1.

وهذه الخدمات الاجتماعية المقدمة للعلماء والفقهاء وكل أهل العلم والمعرفة هي تقدير لهم ولمكانتهم العلمية والاجتماعية في المجتمع كي تضمن لهم ولأولادهم الحياة الكريمة والعيش الرغيد واتضح لنا مما سبق ذكره ان الخلفاء كانوا يسندون كثير من امور الادارة والسياسية الى العلماء ،والفقهاء ،والادباء، والمفكرين لان هؤلاء العلماء كان لهم القدرة والمقدرة بعلمهم وحسن سياستهم وكذلك معرفتهم لأحوال الناس عامة.

إن تحسين الاحوال المعيشة لهم من خلال اعطائهم المعونات المادية والمعنوية تكريم لهم.

اهتمام الخلفاء بكل العلماء سواء كانوا شعراء او ادباء من خلال توفير اماكن العلم والقاء الشعر .

النتائج :

إن الخدمات الاجتماعية التي قُدّمت للعلماء والفقهاء تُعدّ تقديرًا لمكانتهم العلمية بين أفراد المجتمع كما أنها تضمن لهم ولأُسرهم الحياة الكريمة ولقد بدا ذلك جَلِيًّا من خلال ما أوردناه من أمثلة، من ذلك:

كان الخلفاء يُقدّمون أهل العلم ويُولونهم أهمية تُميّزهم عن غيرهم من أفراد المجتمع ولا شك أن ذلك يأتي من إعلاء الله سبحانه لهم قال الله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) (المجادلة: ١١).

كان الخلفاء والوُلاة يُسندون الى الفقهاء أمور التعليم لأبنائهم فضلًا عن أبناء شعبهم.

كان الخلفاء يُولُّون الفقهاء القضاء والحُكم بين النّاس.

أعطى الخلفاءُ الفقهاءَ الإدارة السّياسية لِما علموا من رجاحة عقلهم واتّساع علمهم.

كان الكثير من الفقهاء أصحاب أدب جَمّ وحفظ للشعر بل كان بعضهم شعراء يلهج شعرهم بالحكمة كالإمام الشّافعي؛ لذا كان الخلفاء لا يتحرّجون من الاستشهاد بأشعار الفقهاء بمجالسهم وخُطبهم.

Sources and References:

Primary Sources:

1. **Al-Isfahani, Imad al-Din al-Katib Muhammad ibn Safi al-Din ibn Nafis al-Din Hamid Abu Abdullah** (d. 597 AH / 1200 CE), *Kharidat al-Qasr wa Jaridat al-Asr – Section on the Poets of Iraq*, edited by Muhammad Bahjat al-Athari, published by Al-Majma' al-Iraqi Press, 1375 AH / 1955 CE.

2. **Ibn Abi Usaybi'a, Ahmad ibn al-Qasim ibn Khalifa ibn Yunus al-Khazraji** (d. 668 AH / 1269 CE), *Uyoon al-Anbaa fi Tabaqat al-Atibaa* (The Sources of Information on the Classes of Physicians), edited by Nizar Rida, published by Maktabat al-Hayat, Beirut.

3. **Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad** (d. 597 AH / 1200 CE), *Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wal-Umam* (The Chronological History of Kings and Nations), edited by Muhammad Abdul Qadir Atta, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

4. *Al-Misbah al-Mudhi' fi Khilafat al-Mustadhi'*.

5. **Al-Hamawi, Yaqut Shihab al-Din Abu Abdullah al-Rumi** (d. 626 AH / 1228 CE), *Mu'jam al-Udaba' aw Irshad al-Areeb ila Ma'rifat al-Adib* (Dictionary of Literati or The Guidance of the Intelligent to Knowing the Man of Letters), published by Dar al-Kutub al-‘Alamiyyah, 1411 AH / 1991 CE.

6. **Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr al-Barmaki al-Irbili** (d. 681 AH / 1283 CE), *Wafayat al-A'yan wa Abna' al-Zaman* (The Obituaries of Eminent Men and Sons of the Age), edited by Ihsan Abbas, published by Dar Sader, Beirut.

7. **Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz** (d. 748 AH / 1347 CE), *Siyar A'lam al-Nubala'* (The Lives of Noble Figures), edited by Shu'ayb al-Arna'ut, published by Dar al-Risalah Foundation, 3rd edition, 1405 AH / 1985 CE.

8. **Zayn al-Din, Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn Rajab ibn al-Hasan al-Salami al-Baghdadi al-Dimashqi al-Hanbali** (d. 795 AH / 1392 CE), *Dhayl Tabaqat al-Hanabila* (The Supplement to the Biographical Dictionary of Hanbali Scholars), edited by Abd al-Rahman ibn Sulayman al-Uthaymin, published by Maktabat al-Ubaykan, Riyadh.

9. **Ibn al-Sa'i, Abu Talib Ali ibn al-Najib al-Khazin** (d. 574 AH / 1275 CE), *Al-Jami' al-Mukhtasar fi 'Unwan al-Tawarikh wa 'Uyun al-Siyar* (The Concise Collection on the Titles of Histories and the Highlights of Biographies), edited by Mustafa Jawad, published in 1353 AH / 1934 CE.

10. **Al-Subki, Taj al-Din Abd al-Wahhab** (d. 771 AH / 1369 CE), *Tabaqat al-Shafi'iyyah al-Kubra* (The Great Classes of Shafi'i Scholars), edited by Mahmoud Muhammad al-Tanahi and Abdul Muhammad.

11. **Al-Hays Bayas, Shihab al-Din Abu al-Fawaris Muhammad ibn al-Sayfi** (d. 574 AH / 1178 CE), *Diwan* (Poetry Collection), edited by Maki al-Sayyid Jasim and Shakir Mu'awi, published by the Iraqi Ministry of Iformation.

12. **Al-Safadi, Salah al-Din Khalil ibn Aibak ibn Abdullah** (d. 764 AH / 1363 CE), *Al-Wafi bil-Wafayat* (The Sufficient in Obituaries), edited by Ahmad al-Arna'ut and Turki Mustafa, published by Dar Ihya' al-Turath, Beirut, 1420 AH / 2000 CE.

13. **Ibn al-Tiqtaqa, Muhammad ibn Ali Tabata** (d. 709 AH / 1310 CE), *Al-Fakhri fi al-Adab al-Sultaniyyah wa al-Duwal al-Islamiyyah* (Al-Fakhri in Political Ethics and Islamic States), edited by Abdul Qadir Muhammad Mayo, published by Dar al-Qalam al-Arabi, Beirut.

14. **Ibn al-Imad al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad, Abu al-Falah** (d. 1089 AH / 1679 CE), *Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab* (Golden Nuggets in the News of Those Who Passed), edited by Mahmoud al-Arna'ut, published by Dar Ibn Kathir, Damascus – Beirut.

15. **Ibn al-Fuwati, Kamal al-Din Abu al-Fadl Abd al-Razzaq ibn Ahmad** (d. 723 AH / 1324 CE), *Majma' al-Adab fi Mu'jam al-Alqab* (The Collection of Literature in the Dictionary of Titles), edited by Muhammad Kazim, published by the Ministry of Culture and Islamic Guidance, 1416 AH.

16. **Al-Hawadith al-Jami'a wa al-Tajarib al-Nafi'a fi al-Mi'a al-Sabi'a** (The Comprehensive Events and Beneficial Experiences in the Seventh Century), edited by Mahdi al-Najm, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.

17. **Ibn al-Qifti, Jamal al-Din Abu al-Hasan ibn Ali** (d. 646 AH / 1248 CE), *Akhbar al-Ulama' bi Akhbar al-Hukama'* (The News of Scholars on the News of Wise Men), edited by Ibrahim Shams al-Din, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

18. **Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri al-Dimashqi** (d. 774 AH / 1373 CE), *Al-Bidaya wa al-Nihaya* (The Beginning and the End), published by Dar al-Fikr, 1407 AH / 1986 CE.

19. **Ibn al-Muzaffar, Muhammad ibn Umar Shahanshah** (d. 617 AH / 1221 CE), *Midhmar al-Haqa'iq wa Sirr al-Khala'iq* (The Racecourse of Truths and the Secret of Creatures), edited by Hassan Habashi, published by Alam al-Kutub, Cairo.

20. **Ibn Wasil, Muhammad ibn Salim ibn Nasrallah Abu Abdallah al-Hamawi (d. 697 AH / 1297 CE)**

21. Edited by: Jamal al-Din al-Shayyal Publisher: Dar al-Kutub wa al-Watha’iq, Cairo, 1377 AH / 1957 CE “Mufarrij al-Kurūb fī Akhbār Banī Ayyūb”

Modern References:

1. Ahmed Shalabi, Islamic Education, Its Philosophy and History, Faculty of Dar Al-Ulum, Cairo University, 6th edition, 1978 AD.

2. Ahmed bin Ali bin Abdullah, Shihab al-Din al-Dalji al-Masri, (d. 838 AH/1429 AD), Al-Falaka and the Astronauts, Publisher: Al-Shaab Press, Egypt, year of publication 1322 AH/1905 AD.

3. Jihan Saeed Al-Rajhi, Social Life in Baghdad from the Beginning of the Sixth Century AH until the Fall of Baghdad in the Year 656 AH/1258 AD

4. Salim Al-Babani, Al-Baghdadi Ismail bin Muhammad bin Amin bin Mir, (d. 1399 AH / 1978 AD), The Gift of Those Who Know the Names of Authors and the Traces of Compilers, Publisher: Carefully printed by the venerable Knowledge Agency in its glorious printing press, Istanbul, 1951 AD. Reprinted with offset, Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon.